Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

الإشباع عند ابن جنّي (ت 392هـ) من خلال كتابة الخصائص

فهيمة سالم عبدالله بن يوسف
شعبة الدِّراسات اللُّغوية / كلية الآداب – جامعة الزاوية
pg21910195@zu.edu.ly
https://orcid.org/0009-0006-5955-4480

Al-Ishbāʿ according to Ibn Jinnī (d. 392 AH) through his book *Al-Khaṣā'iṣ*

Department of Arabic Language and Literature Faculty of Arts
University of Zawia
Division of Linguistic Studies
Faheema Salem Abdullah Bin Youssef

تاريخ الاستلام:2026/05/30 –تاريخ المراجعة:2026/06/18– تاريخ القبول: 2026/06/28– تاريخ للنشر : 2026 /07/28

الملخص:

يبدو أنَّ الأعلامَ الأوائل في العربيةِ في القرنِ الرابع الهجري كانتْ لَهُمْ عناية بتفاصـيلِ القضـايا اللُّغوية الشاملة في مجال الدِّراسة والبحثِ الصَّوتي، نذكرُ منهم العالم اللغوي الجليل ابن جنِّي ت(392هـــ)، والذي رأيْتُ أنْ أبحثَ في رأيهِ بشأنِ ظاهرة من الظَّواهر اللُّغوية وهي: (الاشباع)، وهو أحدُ المصطلحات الصَّوتية التي تَناوَلهَا في كتبهِ وأخصُ بالذكرِ (الخصـائص)، وقد تَبينَ لي عمق رؤيتهِ الصَّـوتية الدقيقة، وهي جزء من رؤيته الشـاملة لأصـول اللغة ونظامها العام وأسـرارها، التي تعكسَ عنايةَ واهتمام ابنُ جنِّي بدراسـةِ الظواهر الصَّـوتية وما يتعلقُ بها، وخَتمتُ بحثَ الدِّراسة بخاتمةٍ تُلخصُ أهمَ ما جاءَ فيه البحثُ من توسعٍ لغوي وتوضيح نتائجه.

الكلمات المفتاحية: الإشباع– المطل– المدَّ.

Abstract

It appears that the early scholars of Arabic in the fourth century AH paid considerable attention to the details of comprehensive linguistic issues in the field of phonetic study and research. Among them was the eminent linguist Ibn Jinnī, who died in 392 AH. In this study, I chose to examine his view on one linguistic phenomenon, namely vowel lengthening / saturation (al-Ishbāʿ), which is one of the phonetic terms he discussed in his works, especially *Al-Khaṣā'iṣ*. The study revealed the depth and accuracy of his phonetic insight, which forms part of his broader vision of the origins of language, its general system, and its underlying secrets. This reflects Ibn Jinnī's great care and interest in studying phonetic phenomena and related issues. The research concludes with a summary of the most important points discussed, highlighting the linguistic expansion of the topic and clarifying its main findings.

Keywords: Saturation – Prolongation – Vowel Lengthening.

مقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين على ما أفهمَ من البيانِ، وألَّهَم من التبيانِ، وما أنْطقَ بهِ اللِّسانُ وصلَّى الله على سيدنا محمد المَبعوث بأعظمِ شأن، وأفصحَ لسان وعلى آلهِ وأصحابه ذوي المحاسنِ والإحسان وبعد:

فقدْ حُظيتْ دراسةُ الأصَّوات اللُّغوية من السَّلف باهتمامٍ كبيرٍ وعنايةٍ شديدةٍ من علماء العربية، وتَناولتهَا بالأخصِ القراءات والتجويد، وليس في ذلك من عجب فأمَّةُ العربِ تُعدُّ من أسبقِ الأُممِ في تفتيق البحثِ الصَّوتي وما يتعلقُ بهِ، وللحركات قيمةٌ نَجدُها خاصة ومميزة، منْ بينَ سائرِ الأصَّوات لِمَا لهَا من وضُوح واتِّساع في مداها، وانْتِشَارهَا وقوة تأثيرها في مستويات الكلام وقابليتها للإشباع والاختزال، وهو مَا جَعلَها في حاجةٍ دائمةٍ إلى الضبط، والدِّراسات السابقة التي تناولتْ القضايا الصَّوتية عند ابن جنّي فهي كثيرة أذكرُ منها : ملامح الصوتيات التركيبة عند ابن جني من خلال كتبه ،الخصائص ،وسر صناعة الإعراب،والمنصف، رسالة ماجستير في الأدب العربي ،كلية الآداب ،جامعة قاصدي ،الجزائر ،إعداد الطالبة سميرة بن موسى ،2012،2011م،والبحث الصَّوتي عند ابن جنّي ،إعداد، زبيدة طالب ،ماجستير، مخطوطة، جامعة القاهرة ،1976م،وهذه الدراسات تناولتْ الفكر الصوتي عند ابن جني وأغلبها مُركَّزة على جهود ابن جنّي في مجال علم الأصوات بصفةعامة فأردتُ بهذا البحث أنْ أتناولَ ظاهرة من الظواهر الصَّوتية عنده وهو الإشباع ،وهذا ما يدور فيه بحثُ الدِّراسةِ، فابنُ جنّي ليسَ مجردُ عالمٌ منْ علماء اللغة والفكر اللُّغوي حتى يمرُ به الدَّارس والباحث دون الوقوف عند تفاصيله، فهو يُعدُّ أنموذجاً من العلماء القلائل المُلهمين في عصرهِ، و من الذين خَاضُوا غمار البحث و التنقيب في اللغة العربية، مُسافراً في أَعماقها مُسْتنبطٌ النفيسَ منها ، والذي مَيّزُه عَنْ غيرهِ في زَمنهِ هو قوة تركيزه ودقة ضبطه في معالجتهِ للأشياء بعبارات موجزة واضحة، ومباحث واسعة، فمنْ هنا أَثرتُ أنْ أتناولَ فكرة الإشباع عنْدَه من خلال كتابه (الخصائص).

إشكالية البحث:

تكمنُ الاشكاليةُ في البحثِ عنْ تَوضيح معنى الإشباع وأَسبابهِ عند ابن جنّي وبعض المهتمين باللغة العربية ودراستها من علماء العربية.

أهمية البحث:

تَتَمَثلُ في ظاهرةٍ صوتيةٍ جديرةٍ بالوقوفِ عندهَا والتَّعرفُ عليها والاطلاع على سبب وجودها بشيء من التَّدقيق والتَّفصيل بحولِ الله وقوته ، وليست مجرد معلومات تتعلق بحكم لغوي فقط.

المنهج المُتَّبعُ في البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي حيث قُمتُ بدراسةِ مَا جَاءَ به ابنُ جنّي في موضعِ الدِّراسة ودَعمهِ بالأدلةٍ عندَ منْ سَبقهُ، وتوضيح أَوجه التَّقارب بينهم.

هيكلية البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أولاً– المقدمة: تَحدَّثتُ فيها عن الموضوع بشيء من الإيجاز من خلال المفاهيم اللُّغوية عندَ ابن جنّي وبعض علماء اللغة العرب . وخَصصتُ المبحثَ الأول: للإشباع بالفتحة. والثاني الإشباع بالضمة .

والثالث الإشباع بالكسرة. أمَّا الخاتمة فسَأُضمنُهَا أهم ما تَوصلَ إليه البحثُ من نتائج تَخدم بحث الدراسة .

وتاليها قائمةِ المصادر والمراجع، التي أفادَتْ منها الباحثة في انتقاء الأدلة منها ، فما كانَ لي من توفيق فمن عند الله– عزَّ وجلَّ، وما كانَ لي فيه من تقصير فمن النفس، فأسألُ الله الكريم رب العرش العظيم أنْ يوفقني وينفع بي ويسدد خطاي. **أولاً– الاشباع في اللغة:**السين والياء والعين أصلٌ يدلُّ على امتلاءِ في أكلٍ وغيره[1]، والشَّبع بالفتح ضد الجُوع، والشِّبع بالكسرِ، اسمٌ جَاءَ بمعنى الإشباع وهو شبعان، وشابع، ما أشبَعك، ويُقال: حَبْلٌ شبَعٌ: كثيرُ الشعَّر أو الوبر.[2]

وجاء في الاصطلاح: الإشباع والتّوسط، يستوي في معرفتهِ ذلك أكثرُ النَّاس، ويَشتركُ في ضبطهِ غَالبتَهُم, وتحكمُ المشـافهةُ حقيقتَه، ويُبينُ الأداءُ كيفيتَه ولا يكادُ تخفىَ معرفتُه على أحدٍ وهو الذي اسْـتَقَرَ عليه رأي المحققين من أئمتنا قديماً وحديثاً[3] ،وهو زيادة زمنية كميته تصـير بها السـكون حركة، والحركةُ القصـيرةُ طويلة، وتُمكنُ بهَا الحركة الطويلة[4] ،والمطلُ والمدُّ في اللغة: المدُّ: الجذبُ، والمطلُ: الحرف يمدُّهُ أو يُبالغُ في مدِّهَا مداً، ومدَّ به فامتدَّ أي طوَّلَهُ.[5]

ومدُّ المدُ مطلقاً طول زمان صـوت الحرف، فليس بحرف ولا حركة ولا سـكون، بل هو شـكلٌ دالٌّ على صورةِ غيرِهِ، كالغنةِ في الأغن فهو صفة للحرفِ.[6]

وعند القُّراء هو: عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من إشـباع المدّ واتْمَام الحركات، وبلوغ حقيقة الشـيء والوقوف على كنهيه، والوصـول إلى نهاية شـأنه[7] ،في الحركات دون أنْ يُفرطَ في المد[8] ،ويُعبرُ عنهُ سـيبويه بالتمطيط، إذ يقول: "فأما الذي يُشْـبِعون فيمططون، وعلامتُهَا واو وياء، وهذا تحكمه لك المشـافهة"[9] ،ونَجدُ ابنَ فارس يُعبرُ عنه بالبسـيطِ، وجعل ذلك من سـنن العرب، حين يقول: "العرب تبسـط الاسـم والفعل فتزيدُ في عددِ حروفها، ولَعلَّ أكثرَ ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه".[10]

و**المدُّ في اللُّغة** أيضـاً: مطلق الزيادة والتمطيط،وكل شـيء مددتَهُ فقدْ مطلته مطلاً كالذهبِ، والفضـةِ، والحبل: وما أشـبهه[11] ،ويُقال: المدُّ إشـباع بدليلٍ أنَّهُ ليس في اللغة العربية كلمة على فاعيل[12] ،ومن المجاز تقول: امتدَّ النَّهار والظل، ومدَّ الله الظل[13] ،ومنه قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ)**.[14]

أمَّا **اصـــطلاحاً:** "فهو يُعبرُ عنْ زيادةِ مطّ في حرف المدِّ على المدّ الطبيعي، وهو الذي لا يقوم ذات حرف المد دونه".[15]

ومن خلال هذه التعريفات يُمكنني القولَ أنَّ الإشـباع في اللغة :هو نوعٌ منَ التلوين الصـوتي في إتمام وإيفاء، وإعطاء كل كحرفٍ حقهُ ومستحقهُ دون إفراط، وهو زيادة زمنية في الكمية، بحيث تُصبحُ الحركة القصيرة طويلة حتى تبلغُ حقيقة الشـيء، وتقف عند نهاية قصـدهِ، فيقال أشبع الحركة، أي: أطَالَهَا ومدَّهَا حتى قاربتْ أنْ تكونَ حرفاً، كما أَرى أنَّ تعريفَ سيبويه يَقتصـرُ الإشـباع فيه على الواو والياء أي الضـمة والكسـرة دون الفتحة، حيث يقول: على أنه: "لا يكونُ هذا النَّصـبُ؛ لأنَّ الفتحةَ أخفُ عليهم"[16] ،على عكس ما جاءَ بهِ ابنُ جنّي فقدْ وردَ عنده الإشباع بالفتحةِ، كما ورد إشباع الضَّمة والكسرة.

فالإشـباع عندَ ابن جني: يُسـمّيهِ بالمطلِ حين يقول: "وإذا فعلتْ العربُ ذلك أنشـأتْ عن الحركةِ الحرف من جنسـها فتنشـيءُ بعدَ الفتحة الألف، وبعد الكسـرة الياء، وبعد الضـمة الواو"[17] ،ويَرىَ أنَّ "الحروفَ المَمطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصـــونة"، وهي: الألف, الياء والواو"[18] ،فهو يَذكرُ أنَّ حروفَ اللين (الألف الواو والياء) منتشئة عن الحركات، ويقعُ فيها امتداد وتمكين الصوت بها وإطالة مدَّته وهو ما يشير إليها ابنُ جنّي في قوله: "أعلم أن هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت بعد أن تكون سـواكن يتبعن بعضـهن غير مدغمات، ففيها امتداد ولين نحو: قام ويسير به، وحوت، وكوز،فإذا أنَتَ نَطقتَ بهذهِ الاحرفِ المصوتة قبله ثم تماديت بِهنَّ نحوه أطِلْنَ وشِعْنَ في الصَّوت فوفَّين له وزدنَ في بيانه، ومكانه".[19]

ويَذكرُ ابنُ جنّي بصـفةٍ ثابتةٍ أنَّ حروفَ اللّين (الألف، الياء والواو) منتشـئة عن الحركات، وأنَّها توابعٌ لها، وأنَّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها، وإنَّ الألفَ فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، ومَا يُؤكدُ ذلَك عندك أيضـاً أنَّ العربَ احتاجتْ في إقامة الوزن إلى حرفٍ مُجتلبٍ ليسَ منْ لَفظِ البيت فتُشـبعُ الفتحة فيتولدُ من بعدِهَا ألف، وتشـبعُ الكسـرة فتتولدُ من بعدها ياء، وتُشـبعُ الضـمةَ ،فتتولدُ منْ بَعدها واو"[20] ،وهومَا سأوضحُه في المحاور الرئيسة في هذه الدَّراسة .

المبحث الأول: الإشباع بالفتحة عند ابن جني:

يقولُ ابنُ جنّي: أنَّ الحركات أوائل لهَا أجزاء منها وأنَّ الألفَ فتحة والياء كسـر ،والواو ضـمة، وكلها مشـبعة، وهي لغةُ العرب لحاجتها لإقامة الوزن في الشـعر كما ذكرتُ سـابقاً، وهنا نَجدُ ابنَ جنّي يَسـتشـهدُ بقولِ سيبويه:

نبِينَا نَحْنُ نَرْقَبُه أتَانا*** مُعلَّقَ وفصَه وزنادَ راع[21]

وأراد نحنُ نَرقبهُ أتان فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف.[22]

ومن صورة الإشباع ما جاء أيضاً في قولٍ لابن هرمة يرثي ابنه:

فأنتَ من الغوائلِ حين تُرمى*** ومن دم الرجال بمنتزاح[23]

أي: بمنتزح: مفتعل من النازح.

ومنه كذلك ما جاء في قول عنترة:

يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَي غَصُوب جَسْرَةٌ*** زَياقَةٍ مَثلَ الفَنيقِ المُكرَم[24]ويريد (ينبعُ) فأشبع الفتحة, فأنشأ عنها ألفاً.

ويَرى ابنُ جنّي أنَّ الإشباع هنا جَاءَ طلباً لإقامة الوزن، أَلا تَرى أنَّه لَو قال: "يَنْبعُ مِنْ ذقرى، لَصحَ الوزنُ، إلاَّ أنَّ فيه زحافاً هو الخَزّلُ، والخزلُ هو: تسكين الفاء وسقوط الألف"[25] ،وهو من الإشباع الجائز، والذفرى: الموضوع الذي يُعرفُ عَنِ الإبل خلف الأذن.

الغصوب: الناقة العبوس الصعبة الشديدة الرأس الجاسرة في السير.

الزياقة: المتبخترة، والفنيق: الفحل المُكدَّم.

والمُكدَّم: بضم الميم وفتح الراء هو البعير الذي لا يحملُ عليه، وهو للفحلةِ ورد المكدم بالمقرم.[26]

ومنه في مطل الفتحة عندنا كما يقول ابنُ جنيَّ قول الهذلي:

بَيْنا تَعَتُّقِه الكَمَاةُ ورَوْعُهُ*** يَوْماً أُتِيح لَهُ جَرِيءُ سَلْفَعُ[27]

أي: بين أوقات تعنُّقه ثمَّ أشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً.

وهذه صورة أخرى من إشباع الفتحة:

عَضضتُ بِأَبرُ منْ أَبِيكَ وخَالكَا*** وعض بنو العمار بالسكر الرطب

فهنا أُشـبعتْ فتحة الكاف فتولدتْ بَعدَهَا ألفاً، ونحو ذلك قولهم في الوقف وعند التَّذكر قالا أي: قال زيد ونحوه فجَعلُوا الاستطالة بالألف دليلاً على أنَّ الكلامَ ناقصٌ، وقدْ زَادَهَا أيضـاً عند التذكر بعد الألف فقالوا: الزيدان ذهبا إذا نَوَوا ذهبا أمس.[28]

وقد جاء ابنُ جنّي بشـواهدٍ نثريةٍ قليلةٍ منها قوله: وحدَّثنا أَبو علي أنَّ أحمد بن يحيى حكى: خُذهُ من حيث ليسا، وقِيلَ وهو إشباع ليس، ويَرَى في مثل ذلك قوله[29]: آمين، وقال هو إشباع فتحة الهمزة من (أمين)، ومنها حكاية القراء: أكلتُ لحمَا شاة، وأرادَ لحم شاة، فمَطل الفتحة فأنشأ منها ألفاً، كما هو الحال في قوله تعالى:

﴿فَمَا اسْـتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾[30] ،ويقول العبكري: حكى عن الفراء في (اسْـتَكَانُوا) من قوله تعالى: ﴿وَمَا ضَـعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ،أنَّ أصلها اسْتَكنوُا أُشبعتْ الفتحة فنشأتْ الألف، وهذا خطأ؛ لأنَّ الكلمةَ في جميعِ تصاريفها ثبت عينها، نقول: استكان ليستكين استكانة فهو مستكين، ومستكان له، والإشباع لا يكون على هذا الحد[31] ،وابنُ جنّي يَرى أنَّ عينَ اسْتَكانُوا من (استفعل) من الياء مأخوذة من لفظ من السكين، وهو لحم الفرج، والأصل (استكينوا) أي ينقل حركة الياء إلى الكاف ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها في الأصل، وانفتاح ما قبلها في اللفظ, فصارت استكانوا على اسْتفعلُوا،[32] وذهب الرضي إلى أن الإشباع في استكان لازم،[33] وجاء في الدر المصون في قوله تعالى: (وَمَا اسْـتَكَانُوا) وإنما أُشبعت الفتحة فتولد منها ألف، ويرى الفراء بأن الألف ثابتة في جميع تصاريف الكلمة نحو: استكان يسكن فهو مستكن ومستكان إليه، استكانة، وبأن الإشباع لا يكون إلا في ضرورة وكلاهما لا يلزمه: أما الإشباع فواقع في القراءات السبع، لأنَّ الكلمةَ في جميعِ تصاريفها ثبتَ عينُها والإشباع لا يكون على هذا الحد.[34]

إذاً الإشباع عند ابن جنّي لا يختلفُ عنْ مَن سبقهُ إلاَّ في المصطلح فهو يعني عند إطالة الصَّوت ومطله بالحركةِ حتى يتولدَ عنها حرف من جنسها، فالنَّاطق إذا أرادَ إطالة الحركة (الفتحة، الضمة، الكسرة) أكثر ممنْ هو متعارف عليه فينشئ منها حرف من جنسها وخصَّ حروف اللين بذلك للتَّناسب والتجانس، إذاً الإشباع عنه ناتجاً عن طول زمن وكمية النطق بالحركةِ وهو من سننِ العرب وثابت عنهم إذا احتاجوا في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت فتشبعُ الفتحة فيتولدُ عنها ألفاً، كما سبق وأنَّ أَوضحنا بالشواهد في المبحث الأول وتشبع الضمة فتتولد عنها الواو وكذلك الكسرة وهو ما سأتحدثُ عنه في المبحث التالي:

المبحث الثاني: إشباع الضمة عند ابن جني:

يقول ابن جني: وأعلم أنَّ العربَ قد تُشبعُ الضمةُ فتُحدثُ بعدها واو نحو قول أبو علي من مطل الضمة قول الشاعر:

وأنَّني حيثُ ما يَسْرى الهَوى نظرى*** من حيث ما سلكوا أَوْنُوا فأَتَطُورُ[35]

فلفظة "فيَسرى، يتحركُ ويقلقُ وهو يريد (فأنظر)" فأشبع ضمة الطاء فتولد بعدها واو، فيراها أبو علي جاءتْ على الإشباع لإقامة الوزن وهي لغة لطيء تطرق أنظرو[36]، والشاهد في البيت قوله: أنظرو على أنَّ الواو حادثة من إشباع ضمة الطاء.[37]

ولقد يتوجه على هذا عندي قول الشاعر:

هجوتُ زبَّان ثم جئتُ معتذرا*** من هجو زبان كم تَهجوو ولَمْ تَد فكأنَّهُ أراد لمْ تهجُ بحذف الواو للجزم ثم أُشبع ضمة الجيم فنشأت بعدها الواو.[38]

ومن صور إشباع الضمة قولاً آخر:

مَمْكُورَة جَمُّ العِظام عُطبُولُ *** كأنَّ في أنْيابها القَرَنفُولُ[39] فجاءتْ إشباع الفاء هنا للضرورة. ومثله جاء في فقه الصاحبي قول الشاعر:

وليلة خامدة خمودا طغياء*** تغشى الجدي والفَرْقُودا

فزاد في الفرقد، الواو وضم الفاء لإقامة وزن الشعر، وتسوية قوافيه[40] ،ومن إشباع الضمة في (ضُرب) ضُوربَ، وهذه الحروف اللائي يُحدثن فيها إشباع للحركات ولا تكن إلا سواكن؛ لأنهن مدَّات والمدَّات لا يتحركن أبداً[41] ،وهي من النثر وهو من الشواهد القليلة, والمبحث التالي يوضح ذلك أكثر.

المبحث الثالث: إشباع الكسرة عند ابن جني:

من صور إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من (الصياريف), والمطافيل، والجلاعيد.

ومنه قول أبوالنَّجم حيث يقول في عجز البيت:

... فيها المطَافِيلُ وغَيْر المُطَّفِلِ[42]

والشاهد هنا المطافيل بالياء، حيث أُشبعتْ الكسرة في الفاء للِزُومِها فأَحدثتْ الياء.

وأجود من ذلك قول الهذلي:

وإنَّ حَديثاً مِنْك لَوْ تبذُلينَهُ*** جَنَى النَخْلِ في أَلبانِ عُوذٍ مَطَّافِلِ[43]

وفي قول آخر: *** الخَضْر الجلَاعِيد.

وإنَّما هي: (الجلاعيدَ) جمع (جَلْعدَ) وهو الشديد[44] ،ومنه ما ورد عن سيبويه في قول: تقول في المقدَّم والمؤخر مُقيدم، ومؤيخرٌ، وإنْ شئت عوضت الياء كما قالوا: مقاديم، ومآخير، والمقادم والمآخر عربية جيدة.[45]

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.[46]

وإذ قرأ عبيد الله بن زياد: لَهُ مَعاقيب من بين يديه, فقال: معاقيب كما تقول في تسكير مقدَّم: مقاديم[47] ،وقُرى: "لَهُ معاقيب في الكشاف".[48]

وذكرَ ابنُ جنّي في قوله: "وروينا عن قطرب: نعيم الرجل زيد بإشباع كسرة العين، وإنشاء ياء بعدها كالمطافيل، والمساجيد، ولا بدَّ من أن يكون الأمر على ما ذكرنا؛ لأنه ليس في أمثلة الأفعال فعيل البتة".[49]

ومن إشباع الكسرة ما ورد في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[50] ،قيل: الياء حتى تصير ياءً[51] ،وهذا يعني أنَّ الإشباعَ كما قِيل هو عبارة عن إعطاء كل حرفٍ حقه من إشباع المدّ وإتمام الحركات وبلوغ حقيقة الشيء حتى يصل إلى نهاية شأنه ودونَ إفراط في المدّ حتى يتولدُ عن الفتحة ألفاً والضمة الواو والكسرة الياء.

وقد تَناولَ ابنُ جنّي هذا الموضوع (الإشباع) بشيء من التفصيل في كتابه الخصائص في (باب مضارعة الحروف للحركات والحركات للحروف) عندما يقول: إنَّك متى أشبعتَ ومطلتَ الحركةَ أنشأتَ بعدهَا حرفاً من جسنها، وذلك قولك: في إشباع حركات (ضُربَ ونحو: ضوريبا) ولهذا جاء إشباع الحركة لحاجة العرب، فإذا أرادَ شاعرٌ منهم أنْ يُقيمَ الوزن ويسوي القافية مطل الحركة، فأنشأ منها حرفاً من جنسها، كما في الصاريف فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء.[52]

وقدْ يترأ لي أنَّ ابنَ جنّي فصلُ هذه الظاهرة الصَّوتية في الخصائص أكثر تفصيلاً في (باب مطل الحركات)، وقدْ ثبتَ أنَّ الحركةَ بعضُ الحرف، والفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، فكما أنَّ الحرفَ يُجامع حرفاً آخر فينشأن معاً في وقت واحد، فكذلك بعض الحرف لا يجوز أنْ ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد لأنَّ حكمَ البعض، في هذا جَاري مجرى حكم الكل، ولا يجوز أنْ يتصورَ أنَّ حرفاً من الحروف حدثَ بعضه مضافاً لحرفٍ وبقيتهُ من بعده في غير ذلك الحرف، لا في زمان واحد ولا زمانين[53] ،ويقول ابنُ جنّي: ألا ترى أنَّ الحرف الناشئ عن الحركة لو ظهر لَمْ يظهر إلا بعد الحرف المحرَّك بتلك الحركة وإلاَّ فلو كانتْ قبله لكانتْ الألف في نحو: الضارب ليستْ تابعة للفتحة؛ لاعتراض الضاد بينهما، وهذا يمنعك أنْ تنسبَ إليه قبوله اعتراض معترض بين الفتحة والألف التابعة لها في نحو: ضارب، والقول كذلك في الكسرة والياء والضمة والواو[54]، ويبدو لي أنَّ ابنَ جني لم يكتف بإجراء الحركات مجرى حروف اللِّين، وإنما تجاوز ذلك حين قال: بإجرائها مجرى بقية الحروف، فكأن حين جرت مجرى الألف والياء والواو اللواتي عن حروف توام وكوامل, مكّنها ذلك من أن تجري مجرى بقية الحروف، وهذا ما يؤيد ويدل على ذلك أنَّ الحركات أبعاض حروف المدَّ، وإجراء العرب الحرف مجرى الحركة، والحركة مجرى الحرف، وما أُجري منه الحرف مجرى الحركة قولهم: لَمْ يَسعَ، ولم يَرمَ، ولم يَغزُ، حيث حُذفت الألف، والياء، والواو للجزم كما تُحذف له الحركة في نحو: لَم يضرب.[55]

إذاً هي أبعاض حروف المدّ حروفاً صغيرة ليس بعيداً في القياس[56] ،فعندما تشبع حركة من الحركات نجدُ أَنْنا أنشأنا حرفاً من حروف المدّ يُجانسُ الحركةَ المشبَّعة، فلو أشبعنا فتحة العين في (عَمر) مثلاً لوجدنا أنَّها تُصبحُ ألفاً وتكون اللفظة (عامر)، وكذلك لَوْ أشبعنا الكسرة في عين عنب لأنشأنا منها ياء فتصبح عِنيب وكذلك في (عُمر) (عومر)؛ لأنشأنا بعد واو ساكنة وتشبع الكسرة لتولد الياء كما هو قول القائل:

تنفي يَدَاها الحصى في كلّ هاجرةٍ *** نَفي الدراهيم تنقاد الصيارِيف

وهو يريد (الصيارف) فأشبع الكسرة.

ومن هذا الإشـــباع الحركات عند التذكر، فيؤدي ذلك إلى أنْ يُمطلنَ حتى يفين حروفاً[57] ،نحو: قمتا فتمطل الفتحة فتكون ألفاً، وأنتي مع الكســـرة في نحو أنت عاقلة، ومع الضـــمة في نحو: قُمتُ إلى زيد فتقول (قمتو)،[58] ومـا ذكرَهُ أبوالفتح عثمـان ابن جني عنْ حرفِ المـدّ من أنَّـه يَحـدثُ عنْ تمكين الحركـة ومطلهـا، واستطالتها[59] ، كما أنَّه لا يمكنُ الفصل للحركةِ منه، والعودُ إلى اسْتتمامه؛ لأنَّ هذه المدة المستطيلة إنَّما تسمى حرفاً ليناً ما دامت متصـلة[60] ،وما يدلُّ على ذلك أنَّك إذا أشـبعتهَا تَمَّمتَها حرف مدّ بعد الحرف، فإذا أشـبعتَ الفتحة في ضاد (ضَرب) قلت: ضارب، وكذلك في الكسرة في (ضِراب)، لقلت: ضيراب، وفي الضمة (ضُرب) ضورب؛ لأنَّ هذه الحركات أبعاضُ حروف المدّ كمال تقام وحُكم البعض تابع لحكم الكل في هذا[61] ،إلاَّ أنَّ هذه الحروف اللاتي يُحدثنَ لإشـباع الحركات لا يَكنَّ إلاَّ سـواكن لأنَّ مدَّاد والمدَّات لا يتحركن أبداً[62] ، ويترأ لي أنَّ ابنَ جنّي يَرى أنَّ الحركات أصـوات وإنْ كانَ لا يؤمنُ باسـتقلالها الصَّـوتي لكونِها ناقصـة، مبيناً سـبب تسـميتها بالحركات الناقصـة، حين يقول: "إنما سُميت هذه الأصـوات الناقصـة حركات؛ لأنَّها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضـــها"[63] ،إذاً تمامها لا تحقق إلاَّ باقترانها بالحروف الطويلة التي تنتج عن مد هذه الحركات (القصيرة) عند اقترانها بصامت من الصوامت والله أعلم.

والذي يُفهم من خلال ما أَوردَهُ ابنُ جنّي من الشـواهد قد بَدأ في الشـعر للضـرورة ثم شـاع قياسـاً عن طريق الخطأ فصـار مسـتعملاً في النثر، وهي عند ابن جنّي لغة تَولدتْ ،وهي تمثلُ مظهر من مظاهر اللَّهجات العربية، والتي تعطينا بعض الشيء من خصـائص اللغة العربية قديمة العهد[64] ،ويَرى ابنُ جنّي أنّ هذا الإشباع الذي تَنشأُ عنه الحروف قد جاء شـيء صَـلَح نثراً ونظماً[65] ،بينما ابن فارس يقول: "لا معنى لقول من يقول: إنَّ للشـاعر عند الضـرورة أنْ يأتِ في شـعره، بِمَا لا يجوز، فمَا صـحَ من شـعرهم فمقبول، وما أبَتْهُ العربية وأُصُـولها فمردود، كما ورد في فقه الصـاحبي"[66] ،وأُرجحُ أنَّ مَا يُعرفُ بالإشباع إنَّما هو لغة، فيقال مثلاً: في (أنظر) لغة أخرى (أنظور) وهي معززة لقبائل معرفة حســـب رأيي كما قال ابنُ جنّي: وقد يمكن عندي هذه لغةٌ تَولدتْ كما قيل:

وعلى ذلك جاءت قراءة: (سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ).[67]

وأراد سَـأُريكُم، ثم أشـبعَ، وهذا يؤدي إلى فائدة في المعنى: وزاد في اعتماد الواو في هذا الموضـوع وعيد وأغلاط، فمكَّنَ الصَّـوت منه وزاد إشـباعه واعتماده فألحقت الواو لما ذكرنا[68]،وبهذا أكون قد وصـلت إلى نتائج هذا البحث، فمَا كانَ من تقصير فهو من النَّفس البشرية، وإنْ كنتُ قدْ وُفقتُ فذلك من فضل الله علَّي، وأرجو من الله العلي العظيم أن ينفعني وينفع بي، وما توفيقي إلا بالله والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

1. أنَّهُ على تَقادمِ الزمان قد أجازَ أنْ يكونَ هذا التَّمكين والمَطلُ والمدُّ والإيفاء والبسـط والزيادة، كلَّها مصـطلحات تَهدفُ إلى شـيء واحد الغرض والمقصد منه الإشباع الذي يعني مطل الصَّوت وإطالة مدته،ففيه نغمة تُسْهِمُ في تنوع وتلون اللغة. 2. الإشباع في رأي ابن جنّي ظاهرة صوتية تَتَعلقُ بإطالة الصَّوت (الحركة)،الفتحة الضم ،الكسرة، فيُنشئ حرفاً من

جنسها يكونُ واضحاً .

3. قد وردَ في النثر أيضـــاً لا في الشــعر فقط إلاَّ أنَّه قليل الشــواهد في القراءات، وبهذا يكون الإشــباع يخرجُ من باب الضــرورة؛ لأنَّ ما ذُكرَ من خلال الأمثلة النثرية ليس بالضرورة في شيء، والإشباع عند ابن جنّي ما هو إلاَّ ظاهرة صوتية ناتجة عن طول زمن النُّطق بالحركةِ ولها أثر سمعي وصوتي يدخلُ في باب المد والإطالة الصوتية في النطق، ويستخدم أحياناً لأغراض جمالية إيقاعية في الكلام (الشعر)؛ لأنَّه يَمنحُ اللفظَ نغمةً وجرساً موسيقي يتناسبُ مع الوزن اللَّحني أو الصــوتي، فقد عَنُوا العروضــيون برصــدِهَا في موازين الشــعر لِمَا لاحظُوه من أهمية حروف العلّة، كما قال تمام حســان في كتابه اللغة العربية: والإشــباع أنْ تمدَّ الحركةَ حتى تشــبه الحرف الذي هو منها فالفتحة إذا أُشــبعت أَشبهت الألف وكذلك الضمة والواو والكسرة والياء كما هو في الشعر والوقف في اللَّهجات.

4.الإشباع ظاهرة فرعية تَتْبعُ النُّطق والمشافهة لمدِّ الكلام بنغمة موسيقية تُحَسنُ الإيقاع الصّوتي وتُحققُ الانسجام النَّغمي في الكلام ،ويُؤخذُ من العرب ،ولا يُقاس في كلِّ موضع. وموضوع الإشباع عند ابن جني من الموضوعات الدقيقة التي يُمكنُ أنْ تُبنىَ عليها دراسة صوتية بحثية كاملة، في علم الأصوات العربي القديم، وخاصة في ضوء مثل هذه الكتب القيمة الخصائص وسر الصناعة والمحتسب. والله أعلم.

هوامش البحث:

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 3/ ص،241، مادة (شـــبع), 1979م. وينظر: الوســـيط 1/ص،470، 471، تأليف: إبراهيم مصطفى وزملائه.

(2) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي،1/ ص،945، مادة (شبع).

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجذري، 1/ ص،33, تحقيق: علي محمد الضياع.

(4) ينظر: مطل أصوات اللين في القراءات القرآنية، أحمد رزق السواحلي ،ص،9 ،ص،18،.

(5) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 6/ص،4156، مادة (مدد).

(6) ينظر: إتحاف فضلاء النشر في القراءات الأربعة عشر، البناء شهاب الدين أحمد الدمياطي (ت 1117هـ)، ص،53، وضع حواشيه، أنس مهرة، .

(7) ينظر: النشر في القراءات العشر، 1/ ص،205.

(8) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي،1/ ص،372، تحقيق، محمد أبوالفضل وإبراهيم، .

(9) الكتاب، 4/ ص،202، .

(10) ينظر: الصاجي في فقه اللغة، 1/ ص،57، باب القبض.

(11) ينظر: المخصص، ابن سيره، 4/ ص،23.

(12) ينظر: المعجم الوسيط, باب الميم, 2/ ص،876.

(13) أساس البلاغة، الزمخشري، ص،586.

(14) الفرقان : 45.

(15) ينظر: النشر في القراءات العشر، 1/ص،313.

(16) ينظر: الكتاب، 4/ص، 202.

(17) الخصـائص، 3/ص،120، تحقيق، الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة،وابن جنّي ،هو أبو الفتح عثمان الموصلي عالم لغوي من علماء البصرة وله العديد من الكتب في النحو والصرف.

(18) المصدر السابق والجزء نفسه/ص، 124.

(19) المصدر نفسه والجزء نفسه والصفحة نفسها.

(20) ينظر: سر صناعة الإعراب ،1/ص،23 وينظر: 2/ص،719.

(21) ينظر: سرصناعة الإعراب، 23/1، وينظر: 2/ص،719.

(22) ينظر: المصدر السابق، والجزء نفسه/ص، 24، والبيت لرجل من قيس، وينظر: الكتاب,،1/ص،171، وورد في الصاحبي في الشطر الثاني من البيت لفظة شكو وزناد راع في الجزء الأول/ص، 35.

(23) الخصائص 3/ص،120، والبيت من الوافر.

(24) ينظر: المصدر السابق والجزء نفسه والصفحة نفسها، والبيت من الوافر، ويُقال اتباع: الشجاع، وينظر: سر صناعة الإعراب، 2/ص،719، و1/ص، 338.

(25) ينظر: المصدر نفسه والجزء نفسه/ص، 190، 191 والبيت من الكامل.

(26) ينظر: خزانة الأدب، البغدادي،1/ص،134 ، و376/8، تحقيق، محمد نبيل طريفي وزميله.

(27) ينظر: الخصائص, 121/3. والبيت في وصف الناقة من الكامل.

(28) ينظر: سر صناعة الإعراب،2/ص،720، وينظر: 1/ص،28.

(29) ينظر: الخصائص، 3/ص،122. وينظر: المحتسب، ابن جني، 1/ص،257. وينظر: تاج العروس، الزبيدي، 3/ص،189.

(30) المؤمنون: 176، وينظر: الخصائص، 3/ص،316.

(31) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، 1/ص،153، تحقيق، علي محمد البجاوي، إحياء .

(32) ينظر: الخصائص،3/ص،316.

(33) ينظر: شرح الشافية،ابن الحاجب، 70/1، .

(34) ينظر: السمين الحلبي ق(756هـ)، 3/ص،432، تحقيق، أحمد محمد الخرّاط.

(35) ينظر: الخصائص، 3/ص،123، وينظر: سر صناعة الإعراب، 2/ص،630.

(36) ينظر: المخصص, ابن سيدة, 109/1, تحقيق: خليل إبراهيم جمال، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب، 3/ص،146، وينظر: تاج العروس، الزبيدي، 14/ص،253،،تحقيق، مجموعة من المحققين، وينظر: الصاجي،1/ص،57، وينظر: المزهر، 150/1، والبيت من البسيط، وينظر: سر صناعة الإعراب 1/ص،26.

(37) ينظر: المفصل، ابن يعيش، 2/10،106/ص، 630.

(38) ينظر: سر صناعة الإعراب، 2/ص،630.

(39) ينظر: الخصائص 3/ص،123. وينظر: تاج العروس، الزبيدي، 30/ص،246.

(40) ينظر: ابن فارس، 1/ص،57، باب القبض.

(41) ينظر: سر صناعة الإعراب، 2/ص،720. وينظر: الخصائص، 3/ص،124، 126.

(42) الخصائص، 3/ص122، والبيت من الرجز، ينظر: ديوان أبي النَّجم.

(43) ينظر: المصدر السابق، والجزء والصفحة نفسها، والبيت من الطويل، وينظر: المخصص، 2/ص،140، 1/ص،49، وينظر: شرح الشافية، 4/ص،145.

(44) ينظر: الكتاب، 3/ص، 426. وينظر: سر صناعة الإعراب، 2/ص،719، و1/ص،25. وينظر: الخصائص، 3/ص،212.

(45) ينظر: الكتاب، 426/3.

(46) الرعد، : 11، وينظر: المحتسب، 1/ص،354.

(47) ينظر: المصدر السابق والجزء والصفحة نفسها.
(48) ينظر: الزمخشري، 2/ص،487.
(49) ينظر: المحتسب ، ابن جني، 1/ص،356.
(50) الفاتحة: 4.
(51) ينظر: النشر في القراءات العشر، 1/ص،49.
(52) ينظر: الخصائص 2/ص،302.
(53) ينظر: الخصائص ،3/ص،121، و2/ص،303، 312.
(54) ينظر: الخصائص،2/ص،312.
(55) ينظر: المصدر السابق،3/ص،121، و2/ص،303،302، 320، وينظر: سر صناعة الإعراب، 1/ص،20، 27، 29.
(56) ينظر: سر صناعة الإعراب، 1/ص،18.
(57) ينظر: الخصائص 3/ص،128.
(58) ينظر: نفسه والجزء والصفحة نفسها.
(59) ينظر: سر صناعة الإعراب، 1/ص،32.
(60) ينظر: الخصائص، 3/ص،120.
(61) ينظر: سر صناعة الإعراب، 1/ص،28، 30، وينظر: الخصائص، باب في مضارعة الحروف للحركات، 2/ص،302.
(62) ينظر: سر صناعة الإعراب، 1/ص،28.
(63) المصدر السابق ، والجزء نفسه، ص27.
(64) ينظر: المحتسب،1/ص،257، 258، و13.
(65) ينظر: المحتسب، 1/ص،257.
(66) 1/ص، 71.
(67) الأعرف: 145.
(68) ينظر: الخصائص، 3/ص،124. وينظر: المحتسب،1/ص،258.

قائمة المصادروالمراجع:

.القرآن الكريم برواية قالون
(1) التبيان في إعراب القرآن- تحقيق- علي محمد البجاوي- إحياء الكتب العربية- 2009م
(2) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي- تحقيق، محمد أبوالفضل وإبراهيم، الهيئة المصرية
(3) إتحاف فضلاء النشر في القراءات الأربعة عشر- البناء شهاب الدين أحمد الدمياطي (ت 1117هـ)- وضع حواشيه- أنس مهرة- منشورات دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-199م.
(4) تاج العروس- الزبيدي -تحقيق- مجموعة من المحققين- دار الهداية- 2009م
(5) الخصائص- ابن جني -تحقيق، الشربيني شريدة- دار الحديث- القاهرة- وابن جنّي هو أبو الفتح عثمان الموصلي عالم لغوي من علماء البصرة وله العديد من الكتب في النحو والصرف.

(6)خزانة الأدب، البغدادي– تحقيق – محمد نبيل طريفي وزميله– بيروت– 1998م
مطل أصوات اللين في القراءات القرآنية– أحمد رزق السواحلي –2001م.
(7) الدر المصون – السمين الحلبي – تحقيق، أحمد محمد الخرّاط– دار القلم– دمشق.
(8) أساس البلاغة– الزمخشري– بيروت–لبنان– دار الفكر– ط1 –1977م .
(9) سر صناعة الإعراب – ابن جني – تحقيق – حسين هنداوي – دار القلم –1985م– دمشق –
(10)الصاحبي في فقه اللغة–ابن فارس – المكتبة الشاملة 2009م.
(11) شرح الشافية– ابن الحاجب، – المكتبة الشاملة–2009م
(12) القاموس المحيط، الفيروز أبادي– مؤسسة الرسالة – بيروت.
(13) الكتاب– سيبويه – المكتبة الشاملة– 2009م.
(14) لسان العرب، ابن منظور– المكتبة الشاملة –2009م.
(15) مقاييس اللغة، ابن فارس– تحقيق: عبدالسلام هارون– دار الفكر– ط1– 1979م.
(16) المخصص– ابن سيده–. تحقيق– خليل إبراهيم جمال– دار إحياء التراث العربي–بيروت،–1996م
(17) المزهر – السيوطي – تحقيق– فؤاد منصور –دار الكتب العلمية –بيروت –ط–1–1998م.
(18) المعجم الوسيط –إبلراهيم مصطفى وزملائه–تحقيق – مجمع اللغة العربية –دار الدعوة –الشاملة 2009م.
.
(19) المفصل– ابن يعيش– إدارة الطباعة المنبرية– مصر.
(20) النشر في القراءات العشر– ابن الجزري،– تحقيق–علي محمد الضياع– دار الكاتب العلمية– المطبعة الكبرى.